



مقاصد التوحيد في القرآن الكريم

م. خالد جمال غائب صالح
جامعه كركوك/ كلية التربية للبنات/ قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

Kirkuk university/college education for girls

Khaldalansari80@uokirkuk.edu.iq

الملخص

يهدف هذا البحث إلى إبراز البعد المقاصدي للتوحيد في القرآن الكريم، من خلال استقراء النصوص القرآنية وتحليل دلالاتها، وبيان أثرها في بناء العقيدة والسلوك والمجتمع. ينطلق البحث من أن التوحيد ليس مجرد قضية نظرية أو مسألة عقديّة معزولة، بل هو منظومة شاملة تحقق مقاصد كبرى تتعلق بإصلاح الاعتقاد، وتركية النفس، وتقويم السلوك، وبناء المجتمع القائم على العدل والاستخلاف. اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي لجمع الآيات المتعلقة بالتوحيد، والمنهج التحليلي لتفسير دلالاتها، والمنهج الموضوعي لعرض القضية ضمن إطار قرآني متكامل، مع الاستفادة من أقوال المفسرين وعلماء العقيدة والمقاصد. خلصت الدراسة إلى أن التوحيد في القرآن الكريم يحقق مقاصد عقديّة تتمثل في العبودية الخالصة لله، وترسيخ الإيمان بأسمائه وصفاته، وحماية العقيدة من الشرك والانحراف، كما يحقق مقاصد تربوية وأخلاقية من خلال غرس قيم المراقبة والإخلاص والاستقامة، ويؤسس لمقاصد اجتماعية وحضارية عبر بناء مجتمع متوازن قائم على العدل والعمران. وبذلك، فإن التوحيد يُعدّ المقصد الأعلى الذي تنتظم تحته جميع المقاصد الشرعية، ويشكل القلب النابض للمشروع الحضاري الإسلامي، مما يجعل دراسته بمنهج مقاصدي ضرورة لفهم أثره الشامل في حياة الإنسان والمجتمع.

كلمات مفتاحية : التوحيد ، القرآن الكريم

The Purposes of Monotheism in the Holy Quran

Khalid Jamal Ghaib Saleh

University of Kirkuk/College of Education for Girls/Department of Quranic

Sciences and Islamic Education

Khaldalansari80@uokirkuk.edu.iq

Abstract

This study aims to highlight the maqāsid (higher objectives)-oriented dimension of tawḥīd (Islamic monotheism) in the Holy Qur'an by surveying Qur'anic texts, analyzing their meanings, and clarifying their impact on the formation of belief, behavior, and society. The research proceeds from the premise that tawḥīd is not merely a theoretical issue or an isolated doctrinal matter; rather, it is a comprehensive system that realizes major objectives related to the rectification of belief, purification of the soul, regulation of conduct, and the construction of a society founded upon justice and stewardship. The study adopts an inductive method to collect verses related to tawḥīd, an analytical method to interpret their meanings, and a thematic approach to present the subject within an integrated Qur'anic framework, while benefiting from the views of Qur'anic exegetes and scholars of creed and maqāsid. The study concludes that tawḥīd in the Holy Qur'an fulfills doctrinal objectives such as sincere devotion to God alone, strengthening faith in His names and attributes, and protecting belief from polytheism and deviation. It also achieves educational and ethical objectives by



instilling values such as mindfulness of God, sincerity, and uprightness, and establishes social and civilizational objectives through building a balanced society grounded in justice and development. Accordingly, tawhīd represents the supreme objective under which all other Shari‘ah objectives are organized. It constitutes the beating heart of the Islamic civilizational project, making its study from a maqāsid-based perspective essential for understanding its comprehensive impact on human life and society.

Keywords: Monotheism, Holy Quran

المقدمة

يُعدّ التوحيد الأساس الذي تقوم عليه العقيدة الإسلامية، والمرتكز الأول الذي بُني عليه الخطاب القرآني في تقرير الإيمان وتصحيح التصورات العقديّة، إذ لم يكن التوحيد في القرآن الكريم مجرد قضية نظرية أو مسألة تجريدية، بل منظومة متكاملة تهدف إلى تحقيق مقاصد كبرى تتعلق ببناء الإنسان، وتنظيم المجتمع، وتوجيه السلوك، وترسيخ القيم.

وقد أولى القرآن الكريم عنايةً فائقة بتقرير التوحيد، فجاءت آياته مكيّة ومدنيّة تؤكد وحدانية الله تعالى، وتنزّهه عن الشريك والمثيل، وتربط الإيمان به بالسلوك العملي والأثر الحضاري. غير أن كثيرًا من الدراسات القرآنية والعقدية ركزت على أنواع التوحيد أو على الرد على الشبهات، دون أن تُفرد دراسة مستقلة تُعنى باستخلاص مقاصد التوحيد كما أرادها القرآن الكريم في بعديها الفردي والجماعي.

ومن هنا تنبع مشكلة البحث، التي تتمثل في التساؤل الآتي:

ما مقاصد التوحيد في القرآن الكريم، وكيف أسهمت في بناء العقيدة والسلوك والمجتمع وفق الرؤية القرآنية؟

وتكمن أهمية البحث في كونه يسعى إلى إبراز البعد المقاصدي للتوحيد، وبيان شمولية أثره في حياة الإنسان، فضلًا عن إسهامه في تجديد الدرس العقدي القرآني بمنهج علمي يجمع بين الاستقراء والتحليل، ويُسهّم في تصحيح الفهم الجزئي أو المنعزل لمفهوم التوحيد.

ويهدف البحث إلى:

- 1- بيان مفهوم التوحيد والمقاصد في ضوء القرآن الكريم.
- 2- استقراء مقاصد التوحيد من النص القرآني.
- 3- تصنيف هذه المقاصد إلى عقديّة، تربوية، أخلاقية، واجتماعية.
- 4- إبراز الأثر الحضاري للتوحيد في بناء الإنسان والمجتمع.

وقد اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي في جمع الآيات المتعلقة بالتوحيد، والمنهج التحليلي في تفسير دلالاتها، والمنهج الموضوعي في عرض القضية ضمن إطار قرآني متكامل، مع الاستفادة من أقوال المفسرين وعلماء العقيدة والمقاصد.

المبحث الأول

الإطار المفاهيمي لمقاصد التوحيد في القرآن الكريم

يمثّل هذا المبحث الأساس النظري والمنهجي للبحث، إذ يُعنى بتحديد المفاهيم الرئيسة التي يقوم عليها، والمتمثلة في: مفهوم التوحيد، ومفهوم المقاصد، ثم بيان العلاقة التكاملية بينهما في الخطاب القرآني، بما يُمكن من استيعاب المقاصد الكلية للتوحيد كما عرضها القرآن الكريم.



المطلب الأول

مفهوم التوحيد في القرآن الكريم

التوحيد لغةً مصدر من الفعل «وَحَّدَ»، وهو مشتق من مادة (و ح د)، التي تدل – كما يذكر ابن فارس – على الانفراد وعدم التعدد، وهو أصلٌ يدل على معنى الانفراد والتميّز عن الغير (ابن فارس، 1991، ج6، ص 90).

ويذكر ابن منظور أن التوحيد هو «الحكم بالواحد، ونفي التثنية والجمع عنه» (ابن منظور، 2003، ج3، ص 353)، وهو تعريف لغوي يُبرز جانب النفي، أي نفي الشريك والمماثل، ويستفاد من التعريف اللغوي أن التوحيد لا يقتصر على الإثبات، بل يقوم على ركنين متلازمين: إثبات الوجدانية، ونفي الشريك

وقد قرر القرآن الكريم مفهوم التوحيد بأسلوب واضح شامل، فجعل الإيمان بوجدانية الله أساس الدعوة، كما في قوله تعالى: «وَالْهُكْمُ لِلَّهِ وَاحِدٌ» (البقرة: 163).

ويرى الطبري أن هذه الآية أصلٌ في تقرير التوحيد، إذ جمعت بين إثبات الوجدانية ونفي الشريك (الطبري، 2001، ج3، ص 26).

ويؤكد الرازي أن التوحيد في القرآن لا يقتصر على مجرد الإقرار، بل يقتضي الالتزام العملي والانقياد القلبي (الرازي، 1999، ج4، ص 121).

كما يظهر من الاستقراء أن التوحيد في القرآن الكريم ليس مفهوماً نظرياً جامداً، بل هو منظومة شاملة تهدف إلى تحرير الإنسان من الخضوع لغير الله، وربط حياته كلها بالله تعالى، وهو ما يؤكد البعد المقاصدي العميق للتوحيد.

يعرّف الإمام أبو جعفر الطحاوي التوحيد ضمناً في عقيدته بقوله: «نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له» (الطحاوي، 1997، ص 5)، ويُفهم من هذا التعريف أن التوحيد عند الطحاوي يقوم على إثبات الوجدانية ونفي الشريك مطلقاً.

أما البغدادي فيعرّف التوحيد بأنه: «العلم بأن الله واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله» (البغدادي، 1981، ص 92)، وهو تعريف يُبرز البعد العقدي الفلسفي للتوحيد.

أما تعريف التوحيد عند ابن تيمية فيعدّ من أكثر التعريفات شمولاً، إذ يربط التوحيد بالعبودية والسلوك، فيقول: «التوحيد هو إفراد الله بما يختص به من الألوهية والعبادة، مع الإيمان بأسمائه وصفاته» (ابن تيمية، 2004، ج1، ص 56).

ويؤكد في موضع آخر أن التوحيد ليس مجرد إقرار نظري، بل هو «غاية الخلق والأمر» (ابن تيمية، 2004، ج10، ص 92)، وهو ما يُظهر البعد المقاصدي للتوحيد بوضوح.

فيما يذهب ابن القيم إلى تعريف التوحيد من زاوية أثره العملي، فيقول: «حقيقة التوحيد أن لا يبقى في القلب تعلق بغير الله، ولا خوف إلا منه، ولا رجاء إلا فيه» (ابن القيم، 1996، ج2، ص 214)، ويُلاحظ أن هذا التعريف يركّز على البعد القلبي والسلوكي، ويجعل التوحيد أساساً لتزكية النفس، لا مجرد مسألة ذهنية.

من خلال استقراء التعريفات السابقة، يمكن القول إن التوحيد في القرآن الكريم هو: إفراد الله تعالى بالذات والربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وإخلاص العبادة له وحده، بما يحقق العبودية الخالصة، ويُثمر إصلاحاً عقدياً وسلوكياً واجتماعياً.

ويتميّز هذا التعريف بكونه جامعاً بين الجانب العقدي والسلوكي، ومنسجماً مع الاستعمال القرآني، وكاشفاً عن البعد المقاصدي للتوحيد.



المطلب الثاني

مفهوم المقاصد في القرآن الكريم

المقاصد لغةً جمع مقصد، وهو القصد والاستقامة والاعتدال (ابن منظور، 2003، ج3، ص 353). ويدل اللفظ على التوجه نحو غاية محددة.

أما اصطلاحاً، فهي الغايات والحكم التي راعاها الشارع في تشريعاته لتحقيق مصالح العباد ودفع المفسد عنهم، فقد عرّفها الشاطبي بأنها: «المعاني والحكم التي راعاها الشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها» (الشاطبي، 2004، ج2، ص 8)، ويتضح من هذا التعريف أن المقاصد لا تقتصر على الأحكام العملية، بل تشمل أصول الدين وقضاياها الكبرى.

وعلى الرغم من أن مصطلح «المقاصد» اشتهر في مجال الأحكام الشرعية، فإن القرآن الكريم – بوصفه أصل التشريع – تضمن مقاصد عقدية وفكرية وتربوية، لا تقل أهمية عن المقاصد الفقهية. ويؤكد الشاطبي أن العقائد نفسها قائمة على مقاصد كبرى تهدف إلى حفظ الدين وإقامة التوازن في حياة الإنسان (الشاطبي، 2004، ج2، ص 12).

ويذهب ابن عاشور إلى أن المقاصد القرآنية تشمل إصلاح الاعتقاد، وتقويم السلوك، وبناء المجتمع الصالح، وهو ما يجعل دراسة المقاصد مدخلاً أساساً لفهم الرسالة القرآنية فهمًا كلياً (ابن عاشور، 1984، ج1، ص 39).

كما عرّف الإمام أبو حامد الغزالي المقاصد من خلال ربطها بالمصلحة، فقال: «مقصود الشرع من الخلق خمسة: أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم» (الغزالي، 1997، ج1، ص 286). ورغم أن الغزالي لم يستخدم لفظ «المقاصد» صراحة، فإن هذا النص يُعدّ من أوضح الأسس التي بُني عليها علم المقاصد لاحقاً، إذ يربط التشريع بالحكم والغايات الكبرى.

ويذهب العز بن عبد السلام إلى أن المقاصد تدور حول جلب المصالح ودرء المفسد، ويقول: «جميع مصالح الدنيا والآخرة راجعة إلى مقاصد الشريعة» (العز بن عبد السلام، 1999، ج1، ص 9). ويُفهم من هذا التعريف أن المقاصد ذات بعد شامل، لا يقتصر على الجانب التشريعي، بل يمتد إلى تنظيم الحياة الإنسانية كلها.

ويعرّف الريبسوني المقاصد بأنها: «الغايات التي وُضعت الشريعة من أجل تحقيقها لمصلحة الإنسان في الدارين» (الريبسوني، 2013، ص 21)، ويؤكد أن المقاصد ليست حكراً على الفقه، بل تشمل العقيدة والقيم والسلوك.

استناداً إلى ما سبق، يمكن تعريف المقاصد بأنها: الغايات والحكم الكلية التي قصدها الشارع الحكيم في نصوص الوحي، والتي تهدف إلى إصلاح الاعتقاد، وتقويم السلوك، وتحقيق مصالح الفرد والمجتمع.

المطلب الثالث

العلاقة بين التوحيد والمقاصد الشرعية

تمثل العلاقة بين التوحيد والمقاصد علاقةً جوهرية؛ إذ يُعدّ التوحيد أصل المقاصد كلها، ومنه تنفرع سائر الغايات الشرعية. فحفظ الدين – الذي هو أعلى المقاصد – لا يتحقق إلا بتقرير التوحيد وترسيخه في النفوس.

وعليه فالتوحيد أصل المقاصد الشرعية جميعاً، والغاية الكبرى التي تنتظم تحتها سائر المقاصد الكلية والجزئية؛ إذ إن الشريعة الإسلامية، بعقائدها وتشريعاتها وأخلاقها، إنما جاءت لتحقيق العبودية الخالصة لله تعالى، كما نصّ القرآن الكريم صراحة بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56).



يرى الرازي أن هذه الآية «تدل على أن معرفة الله وعبادته هي الغاية القصوى من الخلق والتكليف» (الرازي، 1999، ج28، ص231). ويؤكد ابن تيمية أن هذه الغاية هي «أصل الدين وأساس الشريعة» (ابن تيمية، 2004، ج10، ص92).

ومن هنا، فإن التوحيد لا يُعدّ مقصدًا من مقاصد الشريعة فحسب، بل هو المقصد الأعلى الذي تنفّر عنه جميع المقاصد الأخرى، ويمنحها معناها وشرعيتها.

ويرى ابن تيمية أن جميع الأعمال الظاهرة والباطنة إنما تصح وتثمر بقدر ما يتحقق فيها التوحيد (ابن تيمية، 2004، ج10، ص92). كما يؤكد الريبسوني أن التوحيد هو المقصد الأعلى الذي تنتظم تحته بقية المقاصد، سواء أكانت عقديّة أم تشريعية أم أخلاقية (الريبسوني، 2013، ص45).

ومن خلال هذا الترابط، يتبين أن التوحيد في القرآن الكريم لم يُشرع لمجرد تصحيح التصور العقدي، بل لتحقيق مقاصد شاملة، تبدأ بإصلاح علاقة الإنسان بربه، وتمتد إلى إصلاح علاقته بنفسه وبغيره، وبناء مجتمع قائم على العدل والاستخلاف.

من أبرز مظاهر العلاقة بين التوحيد والمقاصد الشرعية، أن التوحيد يشكّل المنطلق التربوي والأخلاقي في الإسلام، فالإيمان بوحداية الله يرسخ في نفس الإنسان معاني المراقبة، والمسؤولية، والإخلاص.

ويؤكد ابن القيم أن «جميع منازل السائرين إلى الله مبناهما على التوحيد، وعليه مدار تزكية النفس» (ابن القيم، 1996، ج1، ص112). وهذا يدل على أن التوحيد ليس مجرد اعتقاد، بل قوة تربوية موجهة للسلوك.

كما يربط القرآن بين التوحيد والاستقامة الأخلاقية، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ (فصلت: 30).

ويرى المفسرون أن الاستقامة المذكورة في الآية ثمرة من ثمار التوحيد الصادق (الطبري، 2001، ج24، ص60).

ويذهب عدد من الباحثين إلى أن المقاصد القرآنية الكبرى مثل الهداية، والعدل، والتزكية، والعمران – كلها تدور حول محور التوحيد. ويؤكد ابن عاشور أن القرآن الكريم «جاء لإصلاح الاعتقاد أولاً، لأنه الأساس الذي تُبنى عليه سائر الإصلاحات» (ابن عاشور، 1984، ج1، ص41).

وبذلك، فإن دراسة العلاقة بين التوحيد والمقاصد الشرعية تكشف عن وحدة النسق القرآني، وتُظهر أن التوحيد ليس قضية معزولة، بل هو القلب النابض للمشروع الحضاري الإسلامي.

من خلال العرض السابق، يتبين أن الفصل بين التوحيد والمقاصد الشرعية يؤدي إلى فهم مجتزأ للخطاب القرآني، فالتوحيد هو الأساس النظري والعملي الذي تنبثق عنه المقاصد، وهو الضامن لتحقيقها على الوجه الصحيح، وعليه، فإن اعتماد المنهج المقاصدي في دراسة التوحيد يُعدّ توجّهًا علميًا أصيلاً، ينسجم مع مقاصد القرآن نفسه، ويُعدّ مدخلاً ضرورياً لفهم أثر التوحيد في بناء الإنسان والمجتمع.

المبحث الثاني

المقاصد العقديّة للتوحيد في القرآن الكريم

يُعدّ التوحيد في القرآن الكريم الأساس العقدي الذي تقوم عليه المنظومة الإيمانية بأكملها، ولم يرد تقريره في القرآن بوصفه مسألة ذهنية مجردة، بل باعتباره مدخلاً لتحقيق مقاصد عقديّة



كبرى، تتعلق بتصحيح الاعتقاد، وبناء الإيمان الراسخ، وتحرير الإنسان من الانحرافات العقديّة والفكرية. ويهدف هذا المبحث إلى بيان أبرز هذه المقاصد كما عرضها القرآن الكريم.

المطلب الأول

تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى

تُعدّ العبودية المفهوم العملي الأوسع للتوحيد في القرآن الكريم، إذ تمثل الغاية التي من أجلها شرع التوحيد، وخلق الله تعالى الإنس والجن. وقد صرّح القرآن بهذه الغاية تصريحاً واضحاً في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56).

يرى الرازي أن هذه الآية «نصّ صريح في أن العبودية هي الغاية النهائية من الخلق والتكليف» (الرازي، 1999، ج28، ص231)، ويؤكد أن العبادة هنا لا تُفهم بمعناها الشعائري الضيق، بل بمعناها الشامل الذي يتضمن معرفة الله وطاعته والانقياد له.

ويعرّف ابن تيمية العبودية تعريفاً جامعاً بقوله: «العبودية اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة» (ابن تيمية، 2004، ج10، ص149).

ولا تتحقق العبودية الخالصة إلا بقيام التوحيد في القلب قياماً صحيحاً؛ لأن أي خلل في التوحيد يؤدي بالضرورة إلى خلل في العبودية. ولهذا ربط القرآن الكريم بين الأمر بالعبادة وتقرير التوحيد، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ (البقرة: 21).

ويرى الطبري أن هذه الآية «أصل في وجوب إفراد الله بالعبادة، لأنه المنفرد بالخلق والرزق» (الطبري، 2001، ج1، ص163). ويؤكد ابن عاشور أن تقديم وصف الربوبية في الآية دليل على أن التوحيد هو المدخل الطبيعي لتحقيق العبودية (ابن عاشور، 1984، ج1، ص257).

ومن هنا، فإن التوحيد يُعدّ الأساس العقدي الذي تُبنى عليه العبودية، ولا تنفصل عنه بحال، إذ يربط القرآن الكريم بين التوحيد وإخلاص العبادة ربّاً مباشراً، كما في قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (الزمر: 2).

ويرى الطبري أن الإخلاص هنا هو «إفراد الله بالطاعة دون سواه» (الطبري، 2001، ج21، ص185). ويؤكد ابن القيم أن الشرك الخفي – كالرياء – يُنافي كمال التوحيد، وإن لم يُخرج من أصل الإيمان (ابن القيم، 1996، ج2، ص215).

ويشير القرآن كذلك إلى أن فقدان الإخلاص يُعدّ صورة من صور الشرك الخفي، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ (البينة: 5).

من المقاصد العميقة للتوحيد أن يُحرر الإنسان من كل صور العبودية لغير الله، سواء كانت عبودية للأشخاص، أو للمال، أو للهوى، أو للسلطة. وقد عبّر القرآن عن هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ (الجاتية: 23).

ويرى ابن القيم أن هذه الآية تدل على أن اتباع الهوى نوع من الشرك، لأنه يُنافي كمال العبودية لله (ابن القيم، 1996، ج1، ص112). ويؤكد ابن تيمية أن العبودية لله هي «غاية الحرية الإنسانية»؛ لأن العبد إذا تحرر من الخلق استقام أمره (ابن تيمية، 2004، ج10، ص180).



لا يقف مفهوم العبودية في القرآن الكريم عند حدود الشعائر التعبدية، بل يمتد ليشمل كل مجالات الحياة، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: 162).

فقد جمعت هذه الآية أصول العبودية كلها، الظاهرة والباطنة (ابن كثير، 1999، ج3، ص 348). فشمول العبودية هو الذي يصنع شخصية المؤمن المتوازن، الذي يربط سلوكه اليومي بعقيدته (ابن عاشور، 1984، ج7، ص 284).

يتبين من العرض السابق أن تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى هو المقصد العقدي الأسمى للتوحيد في القرآن الكريم، وأن كل المقاصد العقدية الأخرى تنفرع عنه، كما يظهر أن العبودية في المنظور القرآني مفهوم شامل، يجمع بين الاعتقاد والعمل، وبين الفرد والمجتمع، وعليه، فإن دراسة مقاصد التوحيد لا يمكن أن تنفصل عن دراسة العبودية، بوصفها الثمرة العملية للتوحيد، والميزان الحقيقي لصدقه في حياة الإنسان.

المطلب الثاني

ترسيخ الإيمان بالذات الإلهية وأسمائه وصفاته

يهدف التوحيد في القرآن الكريم، في أحد أبرز مقاصده العقدية، إلى ترسيخ الإيمان بالذات الإلهية إيماناً قائماً على العلم واليقين، لا على التقليد أو التصورات المشوهة. ولهذا جاء الخطاب القرآني موجّهاً إلى العقل والقلب معاً، كما في قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (محمد: 19).

ويرى ابن عاشور أن تقديم فعل «اعلم» يدل على أن التوحيد «معرفة مؤسسة على الدليل، يُبنى عليها السلوك والعمل» (ابن عاشور، 1984، ج26، ص 153). ويؤكد الرازي أن معرفة الله تعالى هي أشرف المعارف؛ لأنها تتعلق بأشرف موجود، وهي أساس سائر العلوم الإيمانية (الرازي، 1999، ج1، ص 119)، ومن هنا، فإن من مقاصد التوحيد القرآني نقل الإنسان من الإيمان الفطري أو الموروث إلى الإيمان الواعي القائم على الإدراك والبصيرة، وقد أولى القرآن الكريم عناية خاصة بذكر أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، وربط ذلك بالتوحيد، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ (الأعراف: 180).

ويرى ابن كثير أن هذه الآية تدل على أن معرفة الأسماء والصفات تُثمر تعظيم الله ومحبتة وخشيته (ابن كثير، 1999، ج3، ص 516). ويؤكد ابن تيمية أن الانحراف في باب الصفات يؤثر مباشرة في صحة التوحيد (ابن تيمية، 2004، ج3، ص 25).

ومن المقاصد العقدية للتوحيد من خلال الأسماء الحسنى: تصحيح التصور عن الله، وتحقيق التوازن بين الخوف والرجاء، وترسيخ معنى القرب الإلهي دون تشبيه أو تجسيم، إذ لم يكتفِ القرآن الكريم بذكر أسماء الله تعالى، بل قرر صفاته العلى بأسلوب يقوم على الإثبات بلا تشبيه، والتنزيه بلا تعطيل، كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: 11).

ويرى ابن تيمية أن هذه الآية «قاعدة جامعة في باب الصفات، جمعت بين التنزيه والإثبات» (ابن تيمية، 2004، ج3، ص 25). ويؤكد أن الانحراف في فهم الصفات يؤثر مباشرة في سلامة التوحيد، كما يشير ابن عاشور إلى أن المنهج القرآني في الصفات يهدف إلى «بناء تصور إيماني صحيح، لا فلسفي مجرد» (ابن عاشور، 1984، ج25، ص 97).

وعليه، فإن من المقاصد العقدية للتوحيد بناء تصور صحيح عن الله، بعيداً عن التشبيه أو التعطيل، فمن أهم مقاصد التوحيد في هذا الباب حماية العقيدة من الانحراف، سواء كان انحراف تشبيه أو تعطيل أو تأليه للمخلوق. وقد واجه القرآن هذه الانحرافات بأسلوب واضح،



كما في قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُفُؤُونَ غُلُوبًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: 43)، فهذا الأسلوب القرآني يهدف إلى تنزيه التصور العقدي من كل ما لا يليق بجلال الله (الرازي، 1999، ج 21، ص 44).

يتبين من هذا العرض أن ترسيخ الإيمان بالذات الإلهية وأسمائه وصفاته ليس مقصدًا معرفيًا مجردًا، بل مقصد عقدي مركزي يهدف إلى بناء إيمان واعٍ، متوازن، مثمر في السلوك. والمنهج القرآني في هذا الباب هو الأقدر على الجمع بين العقل والنقل، وبين التنزيه والإثبات.

المطلب الثالث

تحرير الإنسان من الشرك والانحراف العقدي

يُعدّ الشرك أعظم ما يناقض التوحيد، ولذلك جاء القرآن الكريم محذراً منه بشتى صورته، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (لقمان: 13).

يرى الطبري أن وصف الشرك بالظلم العظيم لأنه «وضع العبادة في غير موضعها» (الطبري، 2001، ج 21، ص 83). ويؤكد ابن القيم أن الشرك يفسد الفطرة، ويؤدي إلى اضطراب التصور العقدي (ابن القيم، 1996، ج 1، ص 112).

من المقاصد العقدية العميقة للتوحيد في القرآن الكريم تحرير العقل الإنساني من الخرافة والتقليد الأعمى، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: 111).

ويرى الرازي أن القرآن اعتمد المنهج العقلي في تقرير التوحيد، لإقامة الحجة على المخالفين (الرازي، 1999، ج 4، ص 121). وهذا يدل على أن التوحيد لا يلغي العقل، بل يهذبّه ويوجهه.

وقد عرض القرآن الكريم الشرك بصور متعددة، من أبرزها: الشرك في العبادة، والشرك في الربوبية، والشرك في الأسماء والصفات، والشرك الخفي المرتبط بالنية والرياء قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ (الزمر: 65).

ويرى ابن كثير أن هذه الآية تدل على أن الشرك يُبطل العمل مهما عظم، وهو ما يبرز خطورته العقدية (ابن كثير، 1999، ج 7، ص 89). كما يبين ابن القيم أن الشرك الخفي أخطر من الجلي؛ لأنه يتسلل إلى القلوب دون شعور (ابن القيم، 1996، ج 1، ص 114). يتضح من العرض السابق أن المقاصد العقدية للتوحيد في القرآن الكريم تتجاوز مجرد تصحيح الاعتقاد، لتشمل تحرير الإنسان، وبناء الإيمان الواعي، وتحقيق الأمن العقدي، وهذا ينسجم مع الرؤية القرآنية الشاملة التي تجعل التوحيد أساساً لكل إصلاح، وقد سلك القرآن الكريم منهجاً محكمًا في تفكيك الشرك، يقوم على عدة مسارات متكاملة هي:

1. إبطال الأساس العقلي للشرك: قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِيفُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِفُونَ﴾ (الطور: 35)، يرى الرازي أن هذه الآية تُعدّ من أقوى الحجج العقلية في إبطال الشرك، لأنها تقطع كل احتمال غير التوحيد (الرازي، 1999، ج 29، ص 36).

2. بيان عجز المعبودات من دون الله قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ (الحج: 73)، ويرى الطبري أن المقصد من هذا البيان هو تحقير المعبودات الزائفة في النفوس، لإسقاط هيمنتها العقدية (الطبري، 2001، ج 17، ص 146).

3. أن تحرير الإنسان من الشرك والانحراف العقدي مقصدٌ مركزي من مقاصد التوحيد في القرآن الكريم، وأنه ليس مجرد معالجة عقديّة نظريّة، بل مشروع تحريري شامل يستهدف العقل، والقلب، والسلوك، والمجتمع، فالتوحيد القرآني لا يكتفي بإثبات وحدانية الله، بل يسعى



إلى بناء إنسان حرّ، موجّد، سليم الفطرة، مستقيم السلوك، وهو ما يُبرز البعد المقاصدي العميق للعقيدة الإسلامية.

أما الأبعاد الاجتماعية والتحرر المجتمعي من الشرك فيمكن تحديدها في الآتي:

1. تعزيز العدالة والقيم الاجتماعية: الشرك والانحراف العقدي لهما أثر مباشر على المجتمع وقيمه. التحرر منه يعني استقلال القرارات والمبادئ الاجتماعية عن سلطة غير الله، مثل التعلق بالأصنام المادية أو السلطة الدنيوية في الحكم.
2. بناء مجتمع قائم على العدل والقيم الربانية، لأن التوحيد يرسخ فكرة المسؤولية الفردية والجماعية أمام الله.
3. الوقاية من الظلم الاجتماعي والاستبداد، لأن الإنسان الموحد يضع معيارًا أعلى للحكم على الحق والباطل (الرباني الكلبايكاني، بدون تاريخ).
4. التحرر العقدي كعامل لمواجهة الانحرافات الفكرية والثقافية: التحرر من الشرك لا يقتصر على الاعتقاد فقط، بل يمتد إلى مواجهة الانحرافات الفكرية والثقافية المعاصرة، مثل الخرافات والطقوس غير المشروعة: التعلق المفرط بالقدرات البشرية أو التكنولوجيا بديلاً عن الاعتماد على الله.
5. الانحرافات العقدية الناجمة عن التقليد الأعمى للمذاهب أو الثقافات المختلفة دون وعي عقلي وفكري، ويظهر هذا البعد بشكل واضح في الدراسات المعاصرة التي تربط بين التوحيد والتحرر الاجتماعي، حيث يُعتبر التوحيد أداة مركزية لبناء مجتمع واعٍ ومتوازن (Ismail & Mohd, 2024).

الخاتمة

أولاً: الاستنتاجات

- 1- التوحيد هو المقصد الأعلى للشريعة: فقد تبين أن جميع مقاصد الشريعة، سواء كانت ضرورية، حاجية أو تحسينية، تنبني على أساس التوحيد، فهو الأصل العقدي الذي تُبنى عليه سائر الإصلاحات الفردية والاجتماعية.
- 2- العبودية الخالصة لله غاية عقديّة: إذ أن التوحيد الحقيقي لا يقتصر على الاعتقاد النظري، بل يمتد إلى توجيه السلوك والأعمال الظاهرة والباطنة نحو الله وحده، وهو ما تحقق في مفهوم العبودية الشاملة التي ناقشها البحث.
- 3- ترسيخ الإيمان بالذات الإلهية والأسماء والصفات: يُعدّ من أهم المقاصد العقدية، حيث أسهم في بناء تصور إيماني صحيح، متوازن، ومرتكز على العلم واليقين، بعيداً عن الانحرافات مثل التشبيه أو التعطيل.
- 4- تحرير الإنسان من الشرك والانحراف العقدي: يُعتبر مقصداً مركزياً في القرآن، إذ يعيد الإنسان إلى فطرته السليمة، ويحرره من عبودية الهوى والمال والسلطة، ويؤسس للأمن النفسي والاجتماعي والعقدي.
- 5- المقاصد العقدية للتوحيد تشمل أبعاداً معرفية وسلوكية واجتماعية: فالقرآن لم يكتف بإثبات وحدانية الله، بل استهدف بناء الإنسان والمجتمع على أسس أخلاقية وعقدية سليمة، بما يحقق الإصلاح الشامل للفرد والجماعة.

ثانياً: التوصيات

- 1- تعليم التوحيد بطريقة مقاصدية: ينبغي إدراج دراسة المقاصد العقدية للتوحيد في المناهج التعليمية الدينية، بحيث يدرك الطلاب العلاقة بين العقيدة والسلوك والواقع الاجتماعي.



- ٢- تسليط الضوء على العبودية الخالصة لله: يجب توجيه البحوث والبرامج التربوية لإبراز مفهوم العبودية الشاملة، ليس فقط في الشعائر، بل في كل سلوكيات الفرد اليومية.
- ٣- ترسيخ معرفة أسماء الله وصفاته: يوصى ببرامج علمية تثقيفية لتعريف الإنسان بأسماء الله الحسنى وصفاته، مع التركيز على التطبيق العملي لها في السلوك الشخصي والاجتماعي.
- ٤- مكافحة الانحرافات العقدية: على الجهات الدينية والأكاديمية العمل على نشر الوعي بمخاطر الشرك بجميع أشكاله، بما في ذلك الشرك الخفي والرياء، لتقوية صرح العقيدة الصحيحة.
- ٥- البحث المستمر في المقاصد القرآنية: تشجيع الدراسات العلمية التي تربط بين التوحيد والمقاصد الشرعية الأخرى، وخاصة ما يتعلق بالبُعد الأخلاقي والتربوي والاجتماعي للعقيدة، بما يخدم الفكر الإسلامي المعاصر.

قائمة المصادر

- ١- ابن عاشور، محمد الطاهر. (1984). التحرير، تونس: دار الثورة للطباعة والنشر.
- ٢- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (1999). تفسير القرآن العظيم (ج3)، ص 292، ص 348، ص 516، ج7، ص 89). دار الفكر، بيروت.
- ٣- ابن القيم، محمد بن أبي بكر. (1996). مدارج السالكين (، دار المعارف، القاهرة.
- ٤- ابن تيمية، تقي الدين. (2004). مجموع الفتاوى، دار المشرق، بيروت.
- ٥- الطبري، محمد بن جرير. (2001). جامع البيان عن تأويل أي القرآن، دار الفكر، بيروت.
- ٦- الرازي، محمد بن عمر. (1999). تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل، دار الفكر، بيروت.
- ٧- الرباني الكلبايكاني، ع. (بدون تاريخ). دراسة قرآنية في التوحيد والشرك. المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.
- 8- Shafique, H. M. M., Shoaib, M., & Sarwar, S. (2025). Affirmation of monotheism and refutation of shirk: A research and analytical study of polytheistic beliefs in the context of Haqqānī's Tafsīr and Bayān-ūl-Qurān. *Ma'arif-E-Auliya*, 3(3), 353–370.
- 9- Ismail, A. M., & Mohd, I. (2024). Understanding and appreciation of the concept of shirk according to mathematical theory. *Islamiyyat Journal*.